مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص644-672

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الممارسة الدينية وأشكال التدين الشعبي في فضاء الزاوية بمنطقة القبائل

مقاربة سوسيوانثروبولوجية

Religios practice and forms of popular religiosity in the Al-Zawia space in the kabylie region: socio-anthropological approach

نقروش حميد *

جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية –الجزائر–

hnegrouche1979@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/04/12 تاريخ القبول: 2020/05/19

ملخص:

بدأت المؤسسات الدينية تظهر في الجزائر، وكل بلدان المغرب الأخرى منذ القرن الأول الهجري(السابع الميلادي) عندما وصل إليها الإسلام على أيدي الفاتحين المسلمين الأوائل، وكان المسجد هو النواة الأولى لهذه المؤسسات، ثم ظهرت بالتدريج مؤسسات أخرى شاركته في رسالته وخففت عنه بعض الأعباء، وهي: المدارس العلمية والكتاتيب القرآنية، والزوايا والمعمرات. والزوايا عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام، تشتمل على بيوت للصلاة كمساجد، وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم العربية الإسلامية، وأخرى لسكنى الطلبة، وطهي الطعام وتخزين المواد الغذائية والعلف وإيواء الحيوانات التي تستغل في أعمال الزاوية.

وسنحاول في إطار هذه الدراسة أن نظهر مختلف الممارسات الدينية وغير الدينية (غير رسمية) التي تعرفها مؤسسة الزاوية في منطقة القبائل، وهي الممارسات التي غالبا ما تتمحور في الإسلام الشعبي، هذا الأخير الذي يحمل معان ودلالات ورموز لاتزال موجودة في المخيال الاجتماعي لسكان المنطقة.

الكلمات الدالة: الممارسة الدينية، التدين ، التدين الشعبي،الزاوية، منطقة القبائل

Abstract

Religious institutions began to appear in Algeria, and all other countries of Morocco since the first century AH (seventh century AD), when Islam reached it at the hands of the first Muslim conquerors, and the mosque was the first nucleus of these institutions, and then other institutions gradually participated in its message and relieved some of its burdens, Which: Scientific schools, Koranic schools, zawayas and thimaamrin. The corners are complexes of houses and houses of

---

* **المؤلف المرسل:** نقروش حميد، **الايمايل:** hnegrouche1979@gmail.com

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

various shapes and sizes, which include houses for prayers such as mosques, rooms for memorizing the Holy Qur'an and teaching Arabic-Islamic sciences, and other housing for students, cooking food, storing food and feed, and harboring animals that are used in corner works.
In the context of this study, we will try to show the fabricated religious and non-religious (informal) practices defined by the Zawiya Foundation in the kabylie areas, which are practices that are often centered in popular Islam, the latter that carries meanings, connotations and symbols that still exist in the social imagination of the inhabitants of the region.
Key words: religious practice, religiosity, popular religiosity, Zawiya, Kabylie

مقدمة:

يحاول عالم الاجتماع في دراسته للظواهر الدينية معرفة دور الدين بالنسبة لحياة الناس في المجتمع والوظائف التي يؤديها، وكيف يؤثر على حياتهم؟ وما هو التنظيم، وطبيعته بالنسبة للمؤسسة الدينية المرتبطة به؟ وما هي طبيعة علاقة التأثر والتأثير بين الظاهرة والمؤسسة الدينية والظواهر والمؤسسات الأخرى؟ أي معرفة تأثير أنساق الاعتقاد على السلوك الاجتماعي(البيومي م أ ،1979، ص:64) .

لكن الأمر الذي يطرح العديد من التساؤلات، هو كيفية التعامل والتطرق إلى الظاهرة الدينية خاصة من الناحية العلمية، فهنا عمل إبستيمولوجي يفرض نفسه، بداية بضرورة الفصل بين الدين والتدين، ثم التعامل مع الدين من خلال أشكاله المتعددة، وفي هذا السياق يقول محمد أركون بأنه "ينبغي على المغاربة أن يفكروا بالظاهرة الدينية، لا أن يفكروا بالإسلام مباشرة، لأن الإسلام ليس إلا أحد تجلياتها، وإذا ما عرفوا كيف يفكرون بالظاهرة الدينية بعيون جديدة، فإن الفكر المغاربي سوف يساهم ثقافيا وتاريخيا في البلورة الجارية حاليا للحداثة"(اركون م، 2000، ص:05).

يتفق علماء الأنثروبولوجيا على وجود خصوصيات في الجوانب الاجتماعية والثقافية والفكرية والأخلاقية هي التي تميز المجتمعات عن بعضها البعض، فما يميز المجتمع الجزائري من خصوصيات، خاصة المتعلقة بالمؤسسات الدينية، وعلى رأسها الزوايا والطرق الدينية، والتي تعتبر المركز الذي تدور حوله كل النشاطات السياسية، الاجتماعية، الثقافية والدينية على مدار قرون من الزمن. فقد بدأت المؤسسات الدينية تظهر في الجزائر، وكل بلدان المغرب الأخرى منذ القرن الأول الهجري(السابع الميلادي) عندما وصل إليها الإسلام على أيدي الفاتحين المسلمين الأوائل، وكان المسجد هو النواة الأولى لهذه المؤسسات، ثم ظهرت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالتدريج مؤسسات أخرى شاركته في رسالته وخففت عنه بعض الأعباء، وهي: المدارس العلمية والكتاتيب القرآنية، والزوايا والمعمرات(بوعزيز ي، 1981، ص :23)

والزوايا عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام، تشتمل على بيوت للصلاة كمساجد، وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم العربية الإسلامية، وأخرى لسكنى الطلبة، وطهي الطعام وتخزين المواد الغذائية والعلف وإيواء الحيوانات التي تستغل في أعمال الزاوية(بوعزيز ي، 1981، ص24).

تعتبر الزاوية المرابطية مؤسسة دينية في الحقل الديني القبائلي مصدرا رئيسيا للأشكال التدين الشعبي، بكل ما تحتويه من اعتقادات وإيمانات، وفولكلور وطقوس، تتداخل فيها الشعبيات والممارسات التاريخية مع خبرات الحياة اليومية، مع تعاليم كبار السن وحكمة الشيوخ مع الأمثال الشعبية في مزج فريد لأقوال لا تزال. هذه المكونات بعيدة عن الرصد والتأويل السوسيولوجي حتى فولكلوريته بلا أنثروبولوجية رصينة.

إن الإطار الذي تدور حوله هذه الدراسة هو واقع المؤسسات الدينية في الحقل الديني القبائلي، في ظل التحديات التي تعرفها المجتمعات الناجمة على وجه الخصوص من إرهاصات العولمة، وكون أن الوسط القبائلي يتميز بخصوصيات ثقافية واجتماعية، كما أن لا يمكن أن نجعل من منطقة القبائل حالة استثنائية، كونها تعتبر من معاقل الزوايا والطرقية، وكذا من أهم بُؤر الممارسات الدينية للإسلام الشعبي التي يمكن أن نلخصها في الوعدة، الوزيعة أو ثيمشرط، التويزة، الحضرة، الجذب الصوفي ...الخ، وكلها ممارسات لا تخرج عن نطاق الجماعة الاجتماعية التي تتبناها من خلال المؤسسة الدينية التي تنظمها كالزوايا المرابطية التي تعرف انتشارا كبيرا في المنطقة (DAUMAS, E , sans date, P : 7) .

اولا: الإطار المنهجي للدراسة:

التساؤل العام:

هل يمكن حصر دور الزوايا المرابطية في العملية التكوينية والتلقنية؟ وماهو مصيرها في الحقل الديني لمنطقة القبائل؟

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الفرضية العامة:

لا ينحصر دور الزوايا المرابطية في التكوين والتلقين وتعليم الطلبة، بل تعتبر فضاءات تستثمر فيها الجماعة المرابطية في عدة رؤوس أموال، تتمثل أساسا في مجموعة من الأنشطة والممارسات الدينية التي تتراوح بين الاحتفالات الطقسية والشعائرية المناسباتية أو غير المناسباتية، والتي تأخذ في الغالب منحى التدين غير الرسمي أو الشعبي (الإسلام الشعبي).

ولدراسة المؤسسات المرابطية، لابد من دراسة المرابطية كفعل، كحركة وظاهرة، وهذا يستلزم دراسة عبادة المرابطين طويلاً، وهذا بالغوص في غموض ما قبل التاريخ ومتابعة الفكر الديني البربري إلى الوقت المعاصر، مع البحث في تفاصيل الشعائر الحالية، المعنى السابق للعبادات وتوضيح تحولاتها,

وانطلاقاً من غموض وتشعب الفعل الديني في منطقة القبائل الذي يتراوح بين الفعل الرسمي وغير الرسمي، وهو ما أشار إليه الكتاب الفرنسيين الذي أبدوا اهتماماً بالغاً بالخصوصيات الاجتماعية والدينية لمنطقة القبائل، وهذا عن طريق العديد من الدراسات الاستكشافية التي قاموا بها لأغراض عسكرية في معظمها إلى حد الاستخلاص بأن الفعل الديني قد تمت ممارسته في المنطقة من طرف فئتين من الأشخاص؛ المرابطون من جهة، وأسياد الطرق أو الأخويات من جهة أخرى.

إنها الطريقة المثلى التي تجعلنا نصل إلى تحقيق أهداف الدراسة والإجابة على التساؤلات الإشكالية، ذلك أن استعمال المنهج الاستكشافي الذي يدخل ضمن المناهج الكيفية، حيث يعرف بأنه "يسعى إلى اكتشاف الظواهر غير المعروفة أو الأقل معرفة" (LAPORTE G 2003,P:34).

كما أن قلة المراجع المحلية التي تناولت موضوع الحقل الديني بصفة عامة، ارتأينا أن نبحث ونستكشف عن أهم المراجع لننكب على الدراسات والمراجع الغربية، خاصة الفرنسية منها كحل بديل، فقد جعلتنا نكتشف حقائق لا تحصى، وفي غاية الأهمية على المجتمع القبائلي بصفة خاصة. كما أن الغموض الذي يكتنف بعض السلوكات والممارسات وحتى الرموز الدينية في المنطقة جعلنا نبذل مجهودات كبيرة قصد إيجاد تفسيرات عقلانية ومنطقية، سواء من الناحية السوسيولوجية أو الأنثروبولوجية لكل ما يحدث في المجال أو الحقل الديني في منطقة القبائل، لذا فالمنهج الاستكشافي أفادنا كثيرا في الوقوف على حقيقة بعض النشاطات والغموض الذي كان يكتنف الحقل الديني في المنطقة.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

وبحكم أننا نبحث عن الزوايا المرابطية والممارسات التي يعرفها هذا النوع من المؤسسات الدينية، عمدنا على وصف الممارسات (الطقوس والشعائر) التي تحدث في هذا الفضاء، سواء في مناسبات محددة كالأعياد، أو أيام أخرى كالزيارات غير المناسباتية. كما عمدنا إلى وصف هذه الأبنية التقليدية التي رممت في معظمها لتلبس حلة جديدة لتواكب العصرنة. فالزوايا المرابطية من هذه الناحية أصبحت لوحات فنية تبدو من بعيد كمراكز ومعاهد وحتى كجامعات.

اما من ناحية التقنيات المستعملة لجمع المعطيات ، فقد استعنا بالملاحظة غير المباشرة ، فقد لجأنا إليها من خلال الوقوف على عدة نقاط تم ملاحظتها، سواء أثناء الدراسة الاستطلاعية أو التحقيق الميداني، كملاحظة موقع وبنى الزوايا، محتوى ومختلف الهياكل الموجودة في هذه المؤسسات (المسجد، الضريح، قاعات التدريس ...الخ)، كما حضرنا بعض المناسبات التي تحتفل بها الزوايا كالمولد النبوي الشريف وعاشوراء، ووقفنا على مختلف النشاطات والاحتفالات والطقوس التي تتخلل هذه المناسبات، كزيارة ضريح الولي الصالح المدفون غالباً في قلب الزاوية، والممارسات التي ترافق هذه النشاطات كحلقات الذكر والجذب والحضرة ...الخ،

لقد ساعدتنا الملاحظة غي تشخيص أكثر لأسرار ارتباط الزوار والوافدين، أهل القرية بهذه الفئة من الزوايا لمرابطية وفهم أبعاد كل ما يتعلق بها، واكتفينا بالملاحظة من بعيد كون الدخول في وسط هؤلاء الأفراد صعب علينا، ومن أجل ذلك قمنا بإعداد شبكة الملاحظة.

ولقد استعنا في دراستنا هذه بما يسمى بالمقابلة غير المقننة أو المفتوحة، أين يسأل الباحث أسئلة كثيرة مفتوحة على أمل أنه أثناء هذه المقابلة يمكنه أن يتوسع في تفهم الاستجابات الغامضة، وعادة ما تكون الأسئلة عامة. ويتميز هذا النوع من المقابلات بالمرونة وحرية التعبير سواء للباحث أو المبحوث، فهي تتيح الفرصة بالتعمق في الحصول على المعلومات وتوجيه المقابلة طبقا لردود المبحوث وتفاعله معها، كما تتيح للمبحوث حرية التعبير عن نفسه دون قيود. واستعنا بتقنية المقابلة للحصول على المعلومات التي تخدم الفرضيات الثلاثة: المكانة الحالية للزاوية المرابطية، الأنشطة والممارسات التي تنظم فيها، ومصير هذه الزوايا في ظل التغيرات التي يعرفها المجتمع القبائلي.

تجدر الإشارة أن المقابلات وجهت إلى عدة فاعلين حسب تسلسل الفرضيات، بداية بالفاعلين في المؤسسة الدينية (الشيخ، الإمام، المسير، رئيس اللجنة، أحد أعضائها، الطلبة)، الوافدون على هذه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المؤسسة (الزوار، الفضوليون وغيرهم) ثم بعض من أهل القرية الذين يمثلون المحيط الخارجي للزاوية. فمن المعلوم أن المقابلة لا تتحدث عن نفسها، لذا ومن أجل بلوغ نتائج البحث لابد من القيام بعملية ضرورية، وهي تحليل الخطاب، أي انتقاء أو اختيار واستخراج البيانات القابلة لمواجهة الفرضيات مع الواقع (الأحداث). فهذا التحليل يقام على كل مقابلات البحث المأخوذة كوحدات المقارنة، وبدقة أكثر على الهيكل (le corpus)، معناه أن كل الخطابات التي تم إنتاجها من الباحثين والمبحوثين يتم إعادة صياغتها بطريقة حرفية.

ثانيا: أشكال الممارسة الدينية في الزوايا المرابطية:

وللوقوف على دور الزاوية المرابطية في تنظيم هذه الاحتفالات، وكيف تحرص على الحفاظ على الممارسات والطقوس وجدوى الالتزام بها من طرف الجماعة المرابطية، قمنا بإجراء مقابلات مع أفراد عينة الدراسة التي تتكون من عدة عائلات، التقينا بعضها في الأضرحة وأثناء الاحتفالات، كما انتقلنا إلى بيوت البعض الأخر قصد مقابلة أفرادها رغم أننا لم نحصل على عدد كاف من المعلومات، لكننا اكتفينا بالقدر المستطاع. فلابد أن نشير إلى أن النتائج المتحصل عليها أثناء مقابلة العائلات والزوار لا يمكن تعميمها على كل المبحوثين، لأن مجتمع بحثنا يتسم بخصوصيات مختلفة، ويتكون من عدة فئات، نذكر منها:

- الزوار العاديون.
- الزوار الفضوليون.
- الفاعلون داخل وخارج الزاويا.

ونقصد هنا المسيرون، الطلبة، القائمون على التدريس، إلى جانب الناشطون خارج المؤسسات؛ ونقصد أهل القرية والمنطقة ككل، أين توجد الزاوية. فلا ينحصر دور الزوايا المرابطية في التكوين والتلقين وتعليم الطلبة، بل تعتبر فضاءات لأنشطة وممارسات دينية تتراوح ما بين الاحتفالات الطقسية والشعائرية المناسباتية أو غير المناسباتية التي تأخذ غالبا منحى التدين غير الرسمي، أو الشعبي (الإسلام الشعبي).

والحديث عن هذه الاحتفالات والممارسات التي تعرفها الزوايا الممثلة لميدان الدراسة، يقودنا إلى الوقوف على العديد من النقاط المختلفة، بداية من حالة الاستثناء التي تعرفها بعض الزوايا في الاحتفال، حيث نجد بعض الممارسات خاصة بزاوية دون الأخرى، في حين نجد بعض النشاطات التي تشترك فيها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197   EISSN/2676-2102

كل الزوايا، ولا يتم استثناء أي مؤسسة دينية منها، حيث تتراوح هذه الممارسات بين المناسباتية المعروفة، وممارسات غير المناسباتية التي تأخذ طابع الطقسي تختلف في أدائه وطقوسه زوايا المنطقة، وهو ما نحاول التطرق إليه في سياق هذا الفصل.

01 _ الاحتفال بيوم عاشوراء:

تعتبر عاشوراء مناسبة دينية وفولكلورية بامتياز تحتفل بها كل الزوايا التي اخترناها كعينة لهذه الدراسة إلى جانب الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف، شهر رمضان، ليلة القدر والاحتفال بالأعياد الدينية . فالزوايا المرابطية في منطقة القبائل مسرح للعديد من النشاطات والممارسات الطقسية ذات الاهتمام الديني والدنيوي على حد سواء. إنها احتفالات لتخليد والاحتفاء بهذه المناسبات الدينية، والتي تعرف امتزاج المقدس بالمدنس. فعاشوراء يوم من أيام الله، إنه اليوم العاشر من شهر محرم، ففيه أنجى الخالق نبيه موسى عليه السلام وقومه من آل فرعون.

انه يوم للاحتفال وليس للحزن على حد قول محند أكلي حديبي (Hadibi M A,2002 P :122) ، فيوم عاشوراء «ثاعاشورث» باللغة المحلية، هو الاحتفال الديني الثالث؛ الاحتفال القرآني الثالث في الإسلام سنه الرسول محمد (ص) يوم وصوله إلى المدينة. ومن العادات والتقاليد المسجلة في منطقة القبائل الاحتفال بهذا اليوم العظيم عكس المناطق الأخرى، فقد تتخلله مجموعة من الاعتقادات والممارسات كالمحرمات أو الممنوعات، كالمحرمات الجنسية، ومنع القيام ببعض الأعمال المنزلية وتنظيف أركان المنزل، في حين أنه يشترط أن توضع الحنة. فهذه التحضيرات للاحتفال ضرورية، ومن لا يحترم هذه الممنوعات سوف تلاحقه اللعنة ما بقي من حياته تصل إلى الإصابة بالاضطرابات العقلية، كما يمنع ويطرد من زيارات الضريح وزيارة الأولياء الأقارب.

فعاشوراء عند القبائل هو احتفال متعدد الأهداف، لذا يعمل كل واحد على إنجاحه، حيث يبدأ الاحتفال بزيارة ضريح ولي المنطقة، وهي زيارة مطلوبة على كل أفراد القرية دون استثناء، أين يجتمع كل سكان القرية حول الضريح طيلة اليوم، وهي فرصة للدعاء وطلب الأمنيات والغفران من الولي. فغالبية الحضور عادة يكون من النساء، خاصة الفتيات في عمر الشباب اللواتي يتزين بأرقى الثياب والحلي لإظهار جمالهن أمام الزوار. أما الجو المحيط بالاحتفال فتسيطر عليه الأغنية الدنيوية وموسيقى المزمار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والغيطة وقرع الطبول بحضور فرق فلكلورية وتنظيم حلقات الرقص، وهي الفرصة التي تستثمر للقاء أفراد المجتمع المحلي بكل أطيافه وبجنسيه (الذكر والأنثى) في حدود الاحترام والوقار.

وفي بعض المناطق لا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل يتعداه إلى تقديم القربان للولي الصالح، أين تذبح العجول وتوزع على الفقراء وعابري سبيل، وهي من بين الممارسات التي تبين قداسة هذا اليوم ـــ يوم عاشوراء ـــ في الحقل الديني لمنطقة القبائل، فإلى جانب كونه فرصة للتلاقي بين الأهل والأصدقاء فهو فرصة للتعرف على الزائرين ـــالغرباء ـــ عن المنطقة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعتبر مناسبة لإدخال الفرح والبهجة في صفوف الشعب وأهل القرية. فلا يتوقف فضاء الزاوية في مناسبة عاشوراء على مظاهر التكافل والتلاحم الاجتماعيين، بل تعرف بعض الزوايا التي زرناها بعض الطقوس قد تبدو غريبة، لكنها لها الكثير من الدلالات الرمزية والهادفة، حيث يقول في السياق أحد المبحوثين، بأنه الزاوية "تعرف طقوس أخرى كالجذب ومجيء الإخوان من كل مكان، وتغتنم هذه المناسبة لتقام الحضرة في المسجد القديم".

ففي هذه المناسبة، تستقبل الأضرحة زوارا من كل منطقة يقصدون التبرك والتوسل حسب الحاجات، حاملين معهم صدقات وتبرعات تستفيد منها هذه الأماكن، وتستعمل عادة في تنظيف الضريح أو محيط الزوايا، فيضيف في هذا السياق مبحوث آخر بأن عاشوراء أهم مناسبة لجمع التبرعات والحصول على بعض الهبات والهدايا والأموال التي تساعد على تمويل الزاوية وتوفير حاجاتها المختلفة. فلا بد أن نشير إلى الطابع الفلكلوري الذي تعرفه المناسبة، وهو الطابع الذي يمتزج بين الديني «تشكيل إقراو»، أي قراءة فاتحة الكتاب والصلاة على الرسول الكريم (ص)، وكذا الدنيوي من التفاف الزوار حول الضريح حاملين معهم أطباق الطعام، حيث يرتدي أفراد المجتمع المحلي أحلى الثياب والحلي، خاصة التقليدي منه في جو يغمره الفرحة،خاصة عند الأطفال.

ففي الحقل الديني الخاص بالمنطقة، والمركب أساساً من القرية والزاوية، حيث يشتركان في التحضير والتنظيم للكثير من المناسبات، حيث يجتمع كل أفراد القرية كفاعلين متطوعين، وكذا الفاعلين في فضاء الزاوية، والكل يعمل قصد إنجاح هذه التظاهرة الدينية. فالكل يعمل بكل تفاني وبحب وعزيمة من أجل ضمان أحسن استقبال للزوار وإعطاء أجمل صورة للزاوية والقرية بصفة عامة، فهو الأمر الذي أكده أغلبية المبحوثين من الشخصيات التي أجرينا عها المقابلات، حيث يرى أحد المبحوثين من زاوية ثيفريث ناث الحاج بأن أفراد المجتمع المحلي، وخاصة المتواجدين في الزاوية همهم الوحيد هو خدمة الجد الولي الصالح

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الذي يسعى الجميع لإسعاده وإرضائه والاستفادة من بركاته. فالضريح هو المكان الوحيد الذي يجمع أهل الزاوية. حيث نفهم تلك العلاقة الوطيدة الموجودة بين الولي الصالح صاحب الضريح والمؤسس للزاوية مع أحفاده من أهل القرية والمناطق المجاورة.

02 _ الزردة:

تعرف الزوايا المرابطية والأضرحة في منطقة القبائل إلى جانب الزوايا الأخرى مناسبة لا تقل أهمية عن مناسبة عاشوراء، إنها الزردة التي تعرف أنها احتفال غير مناسباتي، رغم أنه كثيرا ما يخرج عن نطاق الشريعة الإسلامية والتدين الرسمي، لكنه يبقى فرصة للقاء والتكافل الاجتماعي. فالزردة عبارة بربرية تستعمل في شرق البلاد وجنوبها للدلالة على نوعية الفعل في التعبير الذي يلي حدثا سعيدا، ولادة، نجاح مهني، شفاء بعد طول مرض، عودة من الحج وغيرها من المناسبات التي تتطلب نوع من الممارسة المصبوغة بطابعها الديني. فلا تذكر المعاجم ولقواميس العربية هذه المفردة، حيث نجد كمرادف لها استعمال كلمة «الوعدة» للدلالة على نفس الشي، لكن الفروق بين هذين السلوكين كبيرة جدا على المستوى الثقافي (طوالبي ن، 1988، ص:133).

لقد تقرر القيام بزيارة طقسية مرة أو عدة مرات في كل سنة لأحد الأولياء، حيث يعتبر نوع من الحج تقوم به العائلات إلى ضريح الولي المتواجد بالزاوية المرابطية، والتبرك به وحتى الطواف حوله، إذ نسجل في هذا المقام أن الذين يقومون بهذا الطواف والحج السنوي إلى الولي الصالح بأنها يستغلون فرصة للتقرب إلى الخالق أثناء فرصة تجمعهم والتقائهم، فهم يفرحون ويغنون في هذه الأماكن المقدسة بالنسبة لهم (الأضرحة)((طوالبي ن، 1988، ص:4 13). ففي هذا السياق يعرف كل من «كابولوني وديبون»، الزردة بأنها "كل اجتماع احتفالي ذو هدف ديني، الزردة من زرد معناه بلع لقمة، والزردة دائما ترافقها وجبة أكل، هذه الكلمة مستعملة بمعنى الوليمة، مأدبة، وهي أيضا الوجبة التي يشارك فيها الأوفياء للاحتفال بمولد أو موت القديس قرب ضريح أو قبة الولي الصالح"(COPPOLANI X et DEPOND O, 1897 P : 114).

أما الترجمة الصحيحة لهذه الكلمة فهي تعني تكون من خلال الحضرة، حيث أنها تمارس على وجه خاص الدول الإسلامية. أما في المناطق الصحراوية، فإن كلمة الزردة مرادفة للطعام، حيث يتم تحضير الطعام وإحضاره إلى ضريح الولي المرابط. إن الزردة بمفهومها العام تناول وجبة طعام مشتركة على شرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ولي الصالح، أو ما تسميه الدراسات الغربية «قديس مسلم». أما في المجتمع المزابي، فالزردة تعني طعام يحمل نوع من التقديس الحقيقي الذي يقدم على شرف السلف الصالح، حيث أنهم يجتمعون أحيانا في المقابر ويحضرون وجبات غريبة (شنيعة ومريعة) تتكفل بها ماليا عائلة الميت الذي يسعى إلى التماس تسامح الخالق من خلال تسخير جزء من أمواله لهذه الممارسة الغريبة بوجبات جنائزية (COPPOLANI X et DEPOND O, 1897,P :25

كما يطلق عليها كلمة «الحضرة»، وهي "احتفال مهرجاني مرتبط بضريح الولي الصالح، أين تلتقي النساء، خاصة اللواتي يأتين لزيارته، ويقمن بعدة ممارسات على شرفه، كالطواف حول ضريحه الذي تتخلله حركات وشطحات تتكرر في بعض الأحيان إلى حد الإغماء، بدون نسيان إحضار الصدقة الرمزية التي تقدم إلى روح الولي"(LA COSTE D,2005 , P : 204). فإلى جانب «الجذب» و«اتخاذ الحضرة»، يضاف عند المرابطين في الزردة الدعوة أو القيام بتجمع للفقراء المؤمنين بدعوة الشيخ والذكر، حيث تتخلله رقصات معينة وحركات موزونة وموقوتة وأصوات منغمة تعلو وتنخفض بإشارات معينة من الشيخ أو المقدم.

فالحضرة، المقصود بها في التعبير الأدبي هو التجمع، "أما في سياقها الديني والروحي فتعني رقصات عنفوانية، إنه احتفال نصف مهرجاني، نصف ديني يتم في جو له خصوصيته، تعبير جسدي وشطحات طقسية، تمائم وتعويذات، رقية وعطور وبخور في ظل إشعال الشموع إلخ. ففي بعض المناطق، فإن هذه الرقصات العنفوانية تقام بممارسات مختلفة وترافقها حركات مثل «جذيب» سيدي عمار، أين ترى أناس يلهون العامة بأعمال على الهواء، فيلعبون بالنار، مثل الطريقة العيساوية أين تقام ألاعيب شهوانية بثعابين وترى أيضا درويش يهتز كمملوك ويمشي على الجمر" ,SALHI , M B 1979) P : 37) ، فهو احتفال العزائم، يكون فيه للمرضى الأولوية والأفضلية، إنه "تعبير عن اصطحاب الجسد، لكنه كذلك اصطحاب الروح. في الحقيقة سواء أن يكون مريضا أم لا، فالطقس يواصل مجراه بدون رحمة ولا شفقة، إنه أيضا جزء من الفلكلور يجب أن يتصدى لحملات المعاصرة" (SALHI , M B , 1979 ,P : 39).

كما تعرف هذه الممارسة الدينية بالجذيب أو الانجذاب الصوفي، وهي حالة من الطرب العاطفي والابتهاج والإثارة العقلية، حيث يصبح فيها الفرد في شبه غيبوبة ولا يشعر بالمثيرات الخارجية العادية. كما

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

يتميز الانجذاب الصوفي بتوحيد الشعور والابتعاد عن عالم الإحساس والروح السلبية وزيادة الشعور بالنشوة، وتجلي الذات الإلهية(أحمد زكي بدوي، 1978، ص126).. أما المجذوبون أو "الأولياء الشعبيون" كما يسميهم «إميل درمنغايم»، فهم أشخاص ميالون نحو شطحات (رقصات) صوفية ونماذج بها مس، لكنهم لا يتطابقون مع المجانين، فقد تعرضوا للإغراء، أي للجدية لدرجة أنهم لم يعودوا إلا دمى مستسلمة لإرادة الخالق (DERMINGHEIM, E,1954, P : 107). فهذه المناسبة مقترنة بالسياق الشعبي للإسلام، فماعدا الصلوات والأذكار، فلا أثر لأشكال التدين الرسمي، فكل محيط الزاوية يتفق حول عدم مشروعية هذه الممارسات من الناحية الدينية، لكن ليس بإمكانهم التخلي عنها. مثلا: لا يمكن أن نتخيل فضاء آخر للزردة ماعدا الزاوية والضريح كمكان للتبرك والاستفادة من كرامات الولي.

تعتبر زاوية «ثيفريث ناث الحاج» من الزوايا التي تقام فيها الزردة أو الزردات (الزرادي بالنطق المحلي)،حيث تعرف ولائم واحتفالات وابتهالات، وهو ما يؤكده مثل هذه الزاوية، حيث يقول:"ندرك جيدا أن جدنا يمقت كل مظاهر الخرافات والبدع، لكن عملنا يقاس على حساب النية، رغم أننا نطلب من الناشطين في هذه الاحتفالات إبعاد آلاتهم الموسيقية عن الضريح والزاوية ككل، فهم يعرفون أنها مكان للعلم وليس للترفيه عن النفس". فرغم قدسية المكان، لكن الزاوية المرابطية تعرف هذا النوع من الاحتفالات والسلوكات ذات البُعد رمزي. فلا أحد له القدرة على التطاول أو الإنقاص من قيمة الولي الصالح الذي يرقد في الضريح، فالكل مدعو أن يحترم قدسية المكان، مهما كان، من الزوار أو من الفاعلين الداخليين أو الخارجيين النشطين في محيط الزاوية.

ويحضر هذا الاحتفال عدد هائل من الشباب الذين تجذبهم هذه الأجواء من مختلف الأعمار، خاصة في فصل الشتاء. فرغم تساقط الأمطار وبرودة الجو والمناخ الذي تعرفه المنطقة في هذا الفصل إلا أنهم يوقدون الشموع للاحتفال. أما بالنسبة للنساء فالأمر مختلف، فهن يجمعن حول الضريح، حيث أن موقفهن ليس له علاقة بالاحتفال والعظمة، فيقمنَ بالطواف حول الضريح ويضعنَ أيديهن على قطع قماش الحرير الذي يغطي الضريح، أين يرددن الدعوات والصلوات . أما في قاعة الطعام، فيقدم طبق الكسكسى كطبق رئيسي لمختلف أنواع الزردات. فالحضور لا يتردد في الأكل في كل مكان، حتى داخل المقام الذي يحمل نوعاً من القداسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

03 _ الوزيعة «ثيمشرط»:

تعتبر أضرحة الأولياء الصالحين في منطقة القبائل المكان المعبئ والمشحون بمختلف أشكال التضامن والتكافل الاجتماعيين، إنها الأماكن التي توجد سواء داخل أو بالقرب من الزوايا والتي تحتضن مختلف تلك الصور التي تعبر عن التضامن والتكافل بين أفراد المجتمع المحلي في المنطقة، ومن أبرز صوره ما يسمى الوزيعة «ثيمشرط». فالوزيعة تأتي من مفهوم توزيع اللحم على أفراد المجتمع (HANOTEAU A et LETOURNOUX A,2003, P : 52.)، حيث تعتبر من العادات المتجذرة في المنطقة، حيث تعبر عن الروح الجماعية السائدة عند كل القبائل، فالفقير لا يحس بأنه وحيد، فما هو مستحيل للفرد المعزول يصبح سهلا بالنسبة للجماعة (HANOTEAU A et LETOURNOUX A ,2003, P : 53).

فالوزيعة «ثيمشرط» تعد من آليات تجسيد التضامن في المجتمع المحلي، حيث تقام الأعياد الدينية والفلاحية بقرار من «ثاجماعث»، وبعد تحديد موعدها يشرع المكلفين بجمع التبرعات المالية الضرورية لشراء الحيوانات (البقر، الماعز والضأن) لنحرها، وذلك عندما تغطي التبرعات المتحصل عليها ثمن الشراء. فعندها يعفي أهل القرية من الدفع ويوزع اللحم مجانا، أما إذا كانت التبرعات أقل من ثمن الشراء فيتحمل أهل القرية الفارق مع إعفاء الأرامل واليتامى والعجزة من الدفع، وفي هذه الحالة يتولى كل (طامن) ممثل لجمع مبالغ الاشتراك من سكان (أذروم) حارته.

في يوم النحر يتجند الجميع للعمل من أجل التوزيع، حيث توجد معايير وكيفيات محددة منذ أمد بعيد للقيام بهذه العملية، ففي الغالب يتم حسب قيمة المبالغ التي تتوفر لشراء الحيوانات، لكن يبقى النمط الأكثر استعمالا هو التوزيع العادل حسب الرؤوس أو «أثراس»، أي عدد الأفراد داخل العائلة سواء الصغار أو الكبار، ومن كلا الجنسين فالطفل الذي يولد، الغائب المسافر حتى المتوفى في الأيام التي تزامنت مع مناسبة «ثيمشرط» له حقه، لكل واحد منهم حصته من اللحم (HANOTEAU A et LETOURNOUX A ,2003, P : 53). ففي هذه العملية التضامنية يؤكد الأستاذ محمد أرزقي فراد عن تكاتف جهود أفراد المجتمع المحلي من الذبح إلى السلخ فالتقطيع، حتى التوزيع يتم وفق اجتماع أعيان القرية «طمان» لتحديد أسهم كل حارة حسب عدد العائلات التي يتكون منها المجتمع المحلي محمد أرزقي فراد، (فراد م ا ،2003 ، ص233).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد تقسيم اللحم وفق عدد الأسهم المحدد مسبقاً، يقوم أفراد المجتمع المحلي بمختلف تنوعهم بالدعاء الجماعي إلى الخالق، حيث ترتكز طلباتهم على العافية وأن تكون مثل هذه المناسبات وسيلة لفعل الخير وانتشار البركة على جميع، وفي هالة من القداسة والتقديس يقوم المكلفين بفتح مزاد علني لبيع جلود ورؤوس وقوائم الحيوانات المذبوحة، وهي من الأعراف والتقاليد التي دأب على القيام بها المجتمع القبائلي والتي لها الكثير من الدلالات الثقافية.

كما يكلف بتوزيع الوزيعة «ثيمشرط» شخص مشهود له بقوة الذاكرة يقوم بتوزيع حصص اللحم على سكان القرية حارة بحارة وعائلة تلوى الأخرى(فراد م ا، 2003 ص233).

وهنا يجب الإشارة إلى أن مصادر الأموال المستعملة لإحياء هذه المناسبة متنوعة، فهي نتاج الغرامات المتحصل عليها من جرائم القتل، السرقة، الإخلال بالآداب العامة، خرق الأعراف والتقاليد المعمول بها والتي تعتبر من الضوابط الاجتماعية والدينية التي يطبقها المجتمع المحلي على أفراده، بالإضافة إلى عائدات كراء مطاحن الحبوب ومعاصر الزيتون، وكذا تبرعات وصدقات المحسنين وأخيرا الباقي من عائدات القرية بعد حصيلة كاملة للنفقات.

04 _ التبيتة:

من المناسبات الدينية التي تعرفها الزوايا في منطقة القبائل نجد ما يسمى«التبيتة»، والتي تعني الاستضافة، فهي من الفعل بات يبيت، بمعنى قضى الليل أو سهر الليل، في حين أن المناسبة لا تتوقف على مجرد سهرة ليلية عادية، بل تتعداها إلى خلق الكثير من الممارسات الدينية التي تحتضنها في الغالب الزوايا المرابطية الموجودة في الحقل الديني بمنطقة القبائل. ومن الأمثلة الشهيرة على «التبيتة» في منطقة القبائل نجد التوأمة الموجودة بين قرية هندو وقرية ثيفريث ناث اومالك بنواحي إيجر بولاية تيزي وزو، إنها مناسبة للتبادل تحت وصية وليين صالحين مشهورين، هما: سيدي عبد الرحمن بالنسبة لقرية هندو وسيدي احند اومالك لقرية ثيفريث.

يقول السيد: يحي بن سعدي، وهو إمام:"للمناسبة طابع ديني، يتمثل أساسا في إحياء حفظ القرآن وتدارس سنة الرسول محمد (ص)". فكل سنة تعمل كل قرية على إحياء المناسبة، كل قرية تستضيف الأخرى بالتداول وحسب الدور، حيث يتم بعد تفاهم أعضاء لجان القريتين أين يتم تحديد موعد الزيارة، ويتم التحضير للمناسبة بكل فرح وسرور وبقلوب صافية ونية حسنة، إنه يوم التقاء القلوب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعودة المهاجرين إلى قراهم في كنف هذا اليوم المبارك الذي يؤخذ بالاعتبار في العديد من الممارسات الدينية والدنيوية، فيتصدقون ويتبرعون كل حسب إمكانيتهم.

تتم التبيتة أو «التبيثة» باللغة المحلية ـ على العموم ـ في فصل الصيف تفاديا للظروف المناخية القاسية في الفصول الأخرى، مثل: فصل الشتاء، فالتبيتة مناسبة مهمة لالتقاء العائلات من القر يتين، يعمل فيها المتطوعون بإرادة كبيرة لإنجاح واجب الضيافة. ففي هذا السياق يقول السيد موهوب محمد رئيس جمعية ثيفريث:"لما يتصل بنا أعضاء قرية هندو، نقوم بتشكيل ما يسمى محليا أقراو". فالعملية حسب السيد إبراهيم، رئيس الجمعية الثقافية لهندو تتم بالتعاون مع أعضاء لجنة القرية، حيث الكل يتعاون، الشباب له مهامه، الشيوخ أيضا، وكل أهل القرية مدعوون للمشاركة والمساهمة في إنجاح فعاليات اللقاء. إنها مناسبة للالتقاء بين أفراد القريتين، خاصة الذين يقطنون خارجها.

يوضح السيد: إبراهيم «رئيس الجمعية» بأنه قبل وصول أفراد قرية ثيفريث، تجتمع أهالي قرية هندو بثمعمرث أو بالمسجد، النساء والرجال، الكبير والصغير، الكل ينتظر بشوق وصول الضيوف، كما يتم تحضير العَلَمْ «اسنجاق» باللون الأخضر، الأصفر والأبيض، حيث تعتبر هذه الراية رمز يتم استقبال الضيوف به يوم التبيثة، حيث ينتقل شيوخ وعقلاء وكبار السن قرية هندو إلى المكان الذي حدد مسبقا للقاء، فيتكون حشد المستقبلين في مقدمته الشيوخ والعقلاء، ثم يليهم جموع الناس، يحمل أصحاب المقدمة العلم أو الراية ويرددون أغنية مألوفة، يقولون فيها:

النص (اللغة المحلية)	النص (اللغة العربية)
امرحبا امرحبا سزايرين غر جدي عبد الرحمن لوليا نصالحين	مرحبا مرحبا بالزوار إلى جدي عبد الرحمن. ولي من الأولياء الصالحين.

فعلى طول مسافة الطريق، الجميع يردد في كلمات الأغنية، وهو يدل على الطريقة التي يرحب بها أفراد المجتمع المحلي بالضيوف القادمين إليهم من أجل التبيثة، وهو ما يؤكده السيد: يحي بن سعدي، حيث يقول:"نحن نرحب بالزوار ونستقبلهم أحسن وأفضل استقبال، لأننا نرحب بأحباب الله تعالى، كما أننا نستقبلهم بالذكر". أما عن تحديد مكان الاستقبال، فإن الهدف منه هو إعطاء الفرصة لكل الأفراد ـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الضيوف والمستقبلين ــ حتى يتمكنوا من الوصول باستعمال مختلف الوسائل الممكنة في التنقل، بحكم بُعد المسافة.

حتى الضيوف، وعند تجمعهم في كان الاستقبال، وبعد تجمعهم جميعاً، نساء ورجال وأطفال وشيوخ لهم أغنيتهم المألوفة، والتي يقولون فيها:

النص باللغة المحلية	النص باللغة العربية
حنا جينا زايرين ياموﻻنا لا تتركنا خايبين أمين أمين	نحن جئنا زوارا لا تركنا خائبين يا مولانا أمين أمين

تجدر الإشارة إلى أنا كلى الجانبين يغني أغنيته، المستقبلين يرحبون، والضيوف يخبرون بأنهم أهل الزيارة، ,ذلك في تجانس مثالي وفي تناسق وتلاحم روحي يعبر عن لقاء المحبة والإخوة، لقاء القلوب، يتحدون كأنهم من نفس القرية، إنها فرصة للتواصل «أسلقم»، والجميع يسأل عن حالة الأخر، حال العائلة والقرية. فبعد هذا التلاحم، وحتى تتجانس أكثر وتغطى بنوع من الروحانية والقداسة يتم قراءة فاتحة الكتاب، وبداية قراءة القرآن وتلاوة الكثير من الأدعية والأذكار اقتداء بالسلف الصالح، وهي الفرصة التي يتذكر فيها الجميع مناقب وكرامات أوليائه الصالحين. ففي خضم هذه الروحانية وهذا التآلف والتلاقي الجسدي والروحي يصعد الجميع إلى القرية، حيث يتم التجمع من جديد في غالب الأحيان في المسجد.

إن هذا المسيرة الإيمانية التي يقوم بها أفراد القريتين تتخللها النساء، وكأن الأمر يتعلق بزفاف عروس، حيث يرددون أغنية واحدة طيلة الطريق، بينما يقوم الأخوان «لخوان» بترديد الأذكار المتوارثة في مثل هذه المناسبات، يمجدون فيها سيرة النبي المصطفى (ص) ويتذكرون مناقب الأولياء الصالحين. وعند الوصول إلى المسجد ــ ما ذكرنا ــ النساء في جهة والرجال في جهة أخرى، أين يجد الضيوف استضافة وترحيب كبيرين من طرف أهل القرية، ويتم قراءة القرآن الكريم وتلاوة الأدعية الترحيبية.

فالمناسبة فرصة لانشراح الصدور والاطمئنان، حيث يقول عنها السيد موهوب محمد:" لم يكن الاحتفال بالمناسبة كل سنة، فقد قال سيدي عبد احند اومالك لسيدي عبد الرحمن، «انسلقم ثقرسا»، أي كل طرف يقدم الخير للطرف الأخر، ويحدث هذا في وضعيات مختلفة، مثل: الأمراض والأوبئة،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الجفاف، أو حالة استثنائية خطيرة". فالتبيئة تحدث كل سنتان أو ثلاثة إلى أربع سنوات، لكن مسألة الدور (انوفا) قائمة ولا تزال موجودة. كما أن المغزى من هذه المناسبات في منطقة القبائل، هو الحفاظ على العادات والتقاليد، والعمل على توصيلها من جيل إلى جيل، لأنها الأساس أو الدعامة «ثيقجديث» التي تحمل وتحمي أسرار المجتمع القبائلي.

يؤكد ذلك السيد رشيد لكحل، حين يقول بأنها تظاهرة ذات أهمية كبيرة، كونها تعود إلى أمد بعيد (حوالي تسعة قرون)، حيث تلتقي قريتنا هندو بقرية ثيفريث ناث اومالك عملا بوصية سيدي عبد الرحمن وسيدي احند اومالك، مناسبة حافظ عليه أجدادنا، أسلافنا رغم أنها عرفت انقطاعا أثناء الثورة التحريرية لتعود من جديد وتنتعش. إن التبيئة تدعو إلى صلة الرحم وتعتبر مصدر اقتصادي واجتماعي بامتياز. أما الدكتور علي لكحل _ أحد أفراد قرية ثيفريث ناث اومالك _ فيرى أنها "مناسبة فيها كل شيء، سواء من الناحية الاجتماعية، الاقتصادية أو الدينية، ففكرة التوأمة التي نراها في الآونة الأخيرة فكرة قديمة بالنسبة إلينا، وهي مشروع سعينا إلى تحقيقه عبر التقاء القريتين واتحادهما".

يعلن بعد ذلك شيوخ القرية عن بداية التبيئة بقراءة فاتحة الكتاب، وبعض السور القرآنية، حيث تتخللها حلقات للذكر أين يقرأ القرآن جهراً، بينما نجد في الناحية الأخرى لخوان يرددون أذكارا في عبارات متناغمة بإضافة حركات جسدية، حيث يمجدون فيها حياة النبي المصطفى (ص)، ويستحضرون حكماً مواعظاً تنادي إلى عبادة الله وإتباع سيرة الرسول (ص) . وتستمر طيلة الليل حتى الصباح، بينما ينصت الناس والزوار إلى الكلمات الورعية بخشوع.

وفي الصباح، يجتمع الشيوخ من جديد للتحضير لنهاية التبيئة في ظروف جيدة كما بدأت، حيث يتشكل «أقراو» من جديد في المسجد لجمع «الوعدة» لتقديمها إلى الضيوف، ثم يصلون جماعة داعيين المولى أن يوحد القلوب ويوحد القريتين إلى ما فيه خير. ويبدأ التحضير للافتراق والعودة إلى الديار، حيث يبدأ الضيوف بترديد أغنية كلماتها:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197   EISSN/2676-2102

النص باللغة المحلية	النص باللغة العربية
اه الصالحين وين يفغان البركة	اه للصالحين لمن أراد البركة
اه الدعوة الخير	اه دعوة الخير
ايدنزور ذلبركا	زيارتنا مباركة
قومث الحباب ذيسلاما	نترك لكم السلامة أحباءنا

فيجيب أفراد القرية المستضيفة بالأغنية التالية:

النص باللغة المحلية	النص باللغة العربية
اه الصالحين وين يفغان البركة	اه للصالحين لمن اراد البركة
اه الدعوة الخير	اه دعوة الخير
ايدنزور ذلبركا	زيارتنا مباركة
روحث الحباب ذيسلاما	فلترافقكم السلامة أحباءنا

انه مديح العودة والافتراق، وببلوغ مكان الالتقاء تقرأ فاتحة الكتاب بصفة جماعيا من جديد، ويتم الدعاء بالشفاء لكل مريض والخصوبة لكل عاقر والرزق لكل فقير والعودة إلى كل غريب في جو احتفالي روحاني يحمل الكثير من الهالة والتقديس.

05 _ «لعشور» المقدم إلى الزاوية:

تعني «لعشور» تقديم عُشر المحصول الزراعي كزكاة مفروضة على ما تم جنيه في الموسم الزراعي، وفي المجتمع المحلي غالباً ما يقدم إلى الزاوية المرابطية، حيث يعتبر هذا النشاط من بين التقاليد الاجتماعية والاقتصادية والدينية التي تقام مرتين في السنة: شهر مايو وشهر سبتمبر. وهذه الفترات تتوافق في التقويم الزراعي لمرحلة جني المحاصيل، ومع ذلك، فإن الزيارة إلى مكان تقديم «لعشور» مقيدة مقارنة بالموسم، بمعنى أن هذا الاحتفال يظهر في شكل واجب ديني من قبل الزوار، لذلك فإن الذين يقصدون زيارة الزاوية في هذه المناسبة هدفهم مباركة وتنقية ممتلكاتهم ومحاصيلهم، وهو ما تؤكده مجموعة من الزوار، الذين يرون بأن "لعشور يمثل نصيب الفقراء وليس نصيبهم، إذ لم يقدم لأصحابه يتم فقدانه وفقدان المحصول معه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص644-672

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

فتقديم «لعشور» مناسبة للقيام بممارسة اجتماعية حاملة لإلهام ديني بيّنته ملاحظاتنا التي سجلناها عند زيارتنا لهذا النشاط في بعض الزوايا محل الدراسة، حيث سجلنا الكثير من النقاط نحصها فيما يلي:

- خارج الزاوية، يفوق عدد الرجال عدد النساء.
- داخل القبة، يتجاوز عدد النساء عدد الرجال.
- كبار السن أكثر حضوراً بالمقارنة مع الفئة الاجتماعية للشباب.
- الكثير من أفراد المجتمع من الذين لديهم مستوى تعليمي يقومون بزيارة الزاوية.

يرى مجتمع الدراسة بأن «لعشور» ممارسة اجتماعية، اقتصادية ودينية لها الكثير من الفوائد التي تحقق التجانس والتضامن والتكافل الاجتماعي، لكن المتوارث ثقافيا ودينيا عن هذه الممارسة يمكن تحديده في النقاط التالية:

- النساء لا يقعن في براثن الفقر ولا يكن في حالة الحاجة.
- الله تعالى يمنح الأطفال القوة والقدرة على النمو، حيث يكبرون في كنف الصحة والعافيةو تنمو وتكبر فرصهم وحظهم معهم.
- المرضى يستعيدون صحتهم وعافيتهم، لأن تقديم «لعشور» يدفع الأذى.
- أن البركة الإلهية تصل الغائبين من أفراد المجتمع المحلي أينما كانوا.

إن تقديم «لعشور» من الممارسات الدينية الراسخة في الثقافة الإسلامية كواجب اجتماعي تعبيرا عن التكافل والتضامن الاجتماعي المذكور في النص القرآني، حيث يسمح لمختلف المجموعات الاجتماعية من تلبية بعض الواجبات الدينية ضمانا وإضفاء للشرعية على ثرواتهم وتمجيد ازدهار محاصيلهم. كما أنه من الواضح مساهمة «لعشور» في تسيير وصيانة الزاوية.

ثانيا:استعراض بيانات الفرضية:

لإبراز موقف الزاوية من تنظيم الاحتفالات والنشاطات الدينية ودورها في الحفاظ على الإرث الديني والروحي للفئة المرابطة يقول «سي جعفر»، رئيس زاوية الشيخ أمقران ناث زلال :"أظن أن مسألة الحفاظ على إرث أسلافنا سواء الروحي أو الديني أمانة في أعناقنا، وواجبنا نحن كأحفاد أن نعمل على إحيائه، قد أفاجئك إن قلت لك إنه عهد قطعناه لجدنا الأول، فكما قام جدي ببناء الزاوية بناءا عصريا،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قام أبي بتسييرها وها أنا أقوم كذلك". وهو يحضر بطريقة غير مباشرة فيما يخلفه، فالسيد: «سي أمحمد» أحد أفراد عائلته يؤكد بأنه يقوم بكل شيء في غياب «سي جعفر»، ومكلف بالضريح، وهو الذي يستقبل الزوار ويعد لهم الطعام والشاي.

فالزاوية والضريح على حد سواء يستقبلان عددا معتبرا من الزوار الذين يتوافدون على الضريح قصد التبرك، فهذا الأمر يؤكده وكيل الزاوية قائلا:"يستقبل الضريح زوارا على طول العام وفي كل المناسبات، خاصة الأعياد كعاشوراء والمولد النبوي، كما تقام «زردة» كل يوم الخامس من شهر جويلية من كل سنة، وذلك تخليدا ليوم افتتاح الزاوية في سنة 1998، فتقام احتفالات داخل وخارج الضريح"، حيث تذبح العجول والأغنام وتوزع على الفقراء وتقدم لكل الفئات الاجتماعية التي تهتم بالحضور لمثل هذه المناسبات. فالزوايا تستقبل كل الفئات الاجتماعية باختلافاتها وتنوعها، وهو ما أكدته ملاحظاتنا الميدانية، أسئلة مقابلاتنا التي أجريناها مع المبحوثين وكذا تأكيداتهم على هذا التنوع في فئات المجتمع الذي يزور الزوايا المرابطية في المنطقة.

وعن مختلف انشغالات الزوار يجيب المبحوثين بأنها تختلف باختلاف الفئة أو الشريحة التي ينتمون إليها، وحتى المناسبة التي يقصدون فيها الضريح، فهناك من يطلب الشفاعة من الولي، وهناك من يطلب الرقية، وهناك عوانس يتمنون الزواج، وأخريات عقيمات يطلبن الإنجاب، بل هناك من تطلب الراحة النفسية وغير ذلك من الانشغالات التي يرى مجتمع الدراسة بأنها تمثل اهتمامات المتوجهين إلى زيارة الضريح أو التقرب من روح الولي الصالح. كما أنها انشغالات مرتبطة بالمناسبة، ففترة امتحانات الأبناء يكون الوافدين من الطلبة والطالبات، التلاميذ والتلميذات، حيث يشهد ضريح الولي الكثير من مثل هذه الزيارات لشباب وشابات يطلبن شفاعة الشيخ الولي، ويتمنون بأن ينعم الله عليهم بالبركة من أجل النجاح.

ومن الانطباعات المهمة التي سجلناها عند الزوار والضيوف لأضرحة الأولياء الصالحين، الحديث عن الأهمية الكبيرة للممارسات الاجتماعية ذات الطابع الديني، حيث ترى أحد المبحوثات بأنها بعد كل زيارة تقوم بها تشعر بالاطمئنان الداخلي الذي يساعدها على تدبير شؤون حياتها بشكل عادي، حتى أن هذه الزيارات بعد تكرارها أصبحت جزءا أساسيا من نمط حياتها. كما أن مقابر الأضرحة، هي الأخرى مكانا اعتياديا للزيارة. إذ أن المحتاجين والمساكين يأتون بحشود كبيرة كل يوم جمعة لتناول وجبة الكسكس

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

التي يتبرع بها المحسنون، وكذا حضور المهرجانات السنوية لبعض الأضرحة مثل: عاشوراء التي مازالت تستقطب آلاف الناس، بالإضافة إلى الصلاة والدعاء وطلب البركة تعتبر هذه الممارسات فرصة للتعرف على أصدقاء جدد وعائلات جديدة قادمة من أماكن بعيدة. فالبعض يستغل المناسبة للبحث عن زوج أو زوجة لولده أو ابنته. أما الذين يأتون للتفكر والتدبر قرب ضريح الأولياء، فهم يحملون الكثير من الطلبات للتضرع والتقرب من بركة الولي حتى تستمر حياتهم بشكل مميز.

إن ذهاب أفراد المجتمع المحلي إلى الأضرحة له العديد من المنطلقات، فكل فرد من الأفراد له خلفياته، فمنهم من يرى بأن الزيارة تأتي بهدف توسط الولي الصالح لطلب مغفرة الله تعالى من كل الأخطاء والذنوب، لكن هذه الطلبات سرعان ما تتغير، حيث أن طلبات الزيارة المقبلة تكون مخالفة تماما للطلبات التي سبقت لأنها تتوافق وتتلاءم مع المرحلة الجديدة. فالولي المرابط لا يزال رمز من رموز البركة، لذلك فإن زوار الدراويش أو الشيوخ وزوار أضرحة الأولياء لا يبخلون بشيء سواء على الضريح أو المكلف بصيانة قبر الولي، فهؤلاء الأشخاص لا يطلبون شيئا لأنفسهم، ولا أحد يجرؤ على الانصراف بدون أن يقدم مالا أو هدية، حيث تتفاوت قيمة المال والهدية بتفاوت المستوى الاجتماعي للزوار، وباختلاف طلباتهم. إن هذه الأموال _ كما ذكرنا _ تسهل عملية تسيير زوايا وثيمعمرين المرابطين في ظروف حسنة.

ولا يقف الأمر هنا على الضريح، بل حتى الزاوية التي تنشط حسب الحاجيات الاجتماعية والنفسية للطالبين، وتشكل الفضاء الذي يوحد عدة جماعات قروية تنتمي إلى عدة قبائل. موزعة أو متمركزة في فضاء جغرافي غير منسجم يمتد من قبائل جرجرة إلى الصومام، وتحقق على هذا المستوى اقتراب بين أفراد مختلف الجماعات، كما تسمح بإبرام أو ربط علاقات زوجية. كما تحقق تشخيص مختلف الجماعات إلى الولي انطلاقا من هنا، فمختلف المجموعات تتحقق في تصور عالمي (كوني) وهو الإسلام. روح الاحتفال الذي يسيطر في الأيام الثلاثة للزيارة يسمح للمجتمع باجتياز مأساة الضبط الاجتماعي أو الرقابة الاجتماعية الذي تمارسه على الأفراد والجماعات، وتحقق ارتياح معتبر في التوترات الفردية أكثر من الجماعة. التي تظهر أكثر تميزا ووضوحا عند الفئات الشابة للمشاركين الذين يستثمرون المكان ويحولونه إلى فضاء للارتياح والترفيه، يميزه بالمرور الدائم من المقدس إلى الأغاني الدنيوية أين يكون الإبداع مستمر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص644-672

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ولا تتوقف الزيارات على الأضرحة الموجودة قرب الزوايا فقط، بل تتعداه إلى أماكن مختلفة وتشترك في نقطتين أساسيتان، أولهما: قداسة المكان كمنبع للبركة، وثانيهما: أنها منعزلة عن التواجد السكاني، وهي حالة بعض القباب والصخور والأشجار التي تسمى الحراس «أعسسن»، والتي يعتقد أنها مسكونة بروح ولي مقدس.

ثالثا: تحليل بيانات الفرضية:

من خلال كل المقابلات التي أجريناها مع عيّنة الدراسة، ومختلف الملاحظات المسجلة، فإن الممارسات الدينية سواء فيما تعلق في تنظيم المواسم أو الاحتفالات من قبل المؤسسات المرابطية في الأساس في الزوايا المرابطية تختلف باختلاف التركيبة البشرية وكيفية تطبيق الطريقة التي أرساها الولي الصالح وأتباعه من بعده. فهناك عدة أصناف من العائلات كنقطة هامة، وهي النقطة التي أشار إليها فيما سبق «إدموند دوتي» خاصة عندما تحدث عن درجات المرابطة.

كما أن الأولياء الذين لم يتركوا خليفة في الأرض، يجعل من مسألة الحفاظ على الإرث الروحي والديني للجماعة مهمة كل الفاعلين الذين ينتمون إلى تلك الجماعة، لذا توكل المهمة هنا إلى الأقارب بعد مماتهم، وهي حالة معظم الأولياء. وتشير مسألة المواظبة على زيارة الأضرحة والأولياء الصالحين بالنسبة للعائلات المرابطة والمرابطون عامة وأحفاد الأولياء الصالحين وأتباعهم تحديدا، هم الذين يتكفلون بتنظيم الزيارات إلى مختلف الأضرحة، أهمها الزيارات السنوية التي تكون بمثابة عيد ديني، خاصة بالنسبة لسكان منطقة القبائل. فالمرابطون يستغلون اعتقادات الناس وحاجتهم إلى المقدس من أجل اكتساب امتيازات معنوية ومادية، حيث تظهر الامتيازات المعنوية من خلال مواقف القبائل اتجاه المرابطين عامة، إذ أنها توحي بالاحترام والخوف معا.

لابد من الإشارة إلى تمسك فاعلي الممارسات الدينية المنظمة بالعمليات الرمزية للجد الروحي، والرغبة الملحة في الاستثمار في الروحيات، وكذا محاولة تجسيد تلك الرموز في أفعال هادفة وواعية، حيث أن معظم الشهادات التي تحصلنا عليها تبرر ذلك، كما أنها تتعداه في بعض الأحيان. ولعل ما يدل على ذلك هو نشاط المؤسسات الدينية الدائم، سواء الضريح أو الزاوية فإنهما يبقيان في معظم الأوقات آهلة بأفراد المجتمع المحلي، وتستقبلان ويومياً، وعلى مدار الزوار، المسافرين في المناسبات، الفقراء، المساكين،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص644-672

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

عابري السبيل وغيرهم... كما يسكن الزاوية يوميا الطلبة الذين يأتون للتعليم الديني، حيث تعرف زيارته والتزامهم تغير وتجدد مستمر.

كما تفسره جهود المقيمين على خدمة هذه المؤسسات ومختلف الجماعات التي تربطها علاقات مميزة في الماضي مع الولي، حيث يحافظون على علاقاتهم الرمزية التي لا يستطيعون مخالفتها، بل إنهم يحافظون عليها جيلا بعد جيل. إن هذه المثابرة يعبر عنها بالممارسات الطقوسية الملحوظة منذ الزيارة السنوية، كل الزوار الذين يأتون إلى الزاوية أو الضريح، حيث يقومون بممارسات وأفعال في الأماكن المعترف بها تقليديا كأقطاب التقديس للولي، وهي أفعال كثيرا ما تخرج عن نطاق المعقول وتأخذ طابعا سحريا أو تعجيزيا أو خارقا للعادة، فيتبعون في الغالب نفس النغمات ويعملون على احترام في الإشارات ونفس الأقوال والكلمات من خلال ترديدهم لمتطلبات الطقس الممارس.

فإلى جانب هذه الممارسات التقديسية، توجد مجموعات وأفراد يستثمرون في محيط، أي فضاء الزاوية من خلال ممارسات دينية أخرى، مثل: ترتيل القرآن والذكر ومختلف الأغاني الدينية التي تعبر عن الذكر، كما ترافقها في بعض الأحيان ممارسات الجذب والتداوي بالأشكال الدنيوية، مثل: الأغاني الصوفية والرقصات (شطحات) التي تدخل في إطار طقس من الطقوس الممارسة، حيث يعتبر تدخل أهل الضريح يضمن للطقس حركية دؤوبة، وهو ما يجعله _ أي الطقس _ تتم ملاحظته في أدق تفاصيله، خاصة لما يتعلق الأمر بالأفعال التضحوية، أين يتميزون عن الآخرين بانفرادهم بالتشبث بكل ماهو رمزي ويسعى إلى تجسيد تنظيم الديوان والقيام بحلقات الذكر والصلوات كما تفرضها العقيدة، فإنها تفسر البحث عن الكمال من خلال تكرار اسم الله والأولياء، ويسمح بالقيام بالوصل أو الاتصال بين العالم الأرضي والعالم الأعلى.

يجب أن نذكر أن الصلوات والأدعية تقام باللغة المحلية، أي حاملة للثقافة المحلية، التي تطور تصور مبني ومنسجم يدرج في تصور الفضاء الأكثر اتساعا، وهو الإسلام. وفي بعض الأحيان، يشارك الشباب بأعداد معتبرة لإحياء بعض الطقوس، ولأغلبيتهم نظرة تجعل من الزاوية أو ضريح الولي الصالح فضاء للحديث والترويح عن النفس، فممارساتهم مستوحاة من الجانب الدنيوي عن المقدس، حيث يتجمعون ويتظاهرون بأغاني دنيوية وشطحات تشير إلى البحث الدائم والدؤوب من أجل بلوغ الكمال

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفردي والجماعي. فهذه الفئة التي تعبر عن انشغالاتها، آمالها وطموحاتها المكتسبة حديثا، تسمح لهم هذه المناسبة باجتياز الحياة السيئة التي تضايقهم في الفضاء القروي.

يعتبر الرقص تعبير إشاراتي وجسدي يأخذ في الغالب شكل شهواني، ويسمح بتحقيق الرمزي للذات في علاقته مع الجنس الآخر، أي تعطي الأولوية لاجتياز المأساة في السلوكات المقننة اجتماعيا. فالزاوية والضريح يوفران للمجتمع في تلك الفترة إمكانية تعديل مؤقت للنظام الذي أقامه المجتمع حسب تقسيم الجنس للأدوار والوضعيات والفضاءات، فالمجتمع يتحقق بطريقة مغايرة عن ما اعتاد على فعله، فيصبح هذا ممكنا أيضا بتأشيرة مقدسة يقدمها الولي.

كيف يعيش الزوار بركة شيخهم؟ كيف تتحول البركة إلى معاش جسدي؟ كيف يتشبعون بها أو يملؤون رئاتهم برائحتها؟ كيف يغتنون بعطاءاتها؟ كيف يتحول المقدس إلى مشخص؟ كيف يعبر الفاعلون الطقسيون (الزوار) عتبات الدنيوي نحو القدسي بكل سلامة؟. فإذا كان الطقس ممارسة أو براكسيس، فإنه مع الموسم يتخذ صيغة ممارسة جسدية مركبة من أفعال حسية _ حركية، حيث يكون امتلاء الزوار ببركة شيخهم تتم عبر سلوكات جسدية في الأساس، مثل: تقبيل الضريح، ولمس كسوته، ثم تمرير اليدين على الوجه والصدر ، وكأن الأمر يتعلق بإلصاق بركة ورائحة الشيخ على جلد الوجه والصدر بعد الجلوس إلى جانب قبر الشيخ والتصريح له بالمطالب والأمنيات، وحتى الشكاوي. فعلى هامش هذه الأفعال يتم ملأ الجسد بكل ما يوجد داخل فضاء الضريح، حيث يشرب ماءه، ويشم روائح بخوره، وحتى النوم في حضوره والاستماع للأذكار الملقاة أمامه.

يعتبر هذا التعديل المؤقت للنظام بالفرصة التي تسمح بتقوية والحفاظ على النظام الاجتماعي بنفسه، لأن الجماعة تسعى في الكثير من الأحيان إلى التخلص أو التحرر من التوترات التي تسيره، والتي تدعم حركية المهمشين نفسيا واجتماعيا من النظام الاجتماعي. كما يمكن أن تجتمع كل الممارسات التي يمكن أن تقام على الأضرحة أو الزوايا في يوم الاحتفال بعاشوراء، كيوم مملوء بالنشاطات المحلية (مهرجانات). هذه الممارسات المختلفة تعبر عن تصورات مختلفة نسبيا تتعارض وتمتزج، لكن غالبا ما تنتهي برضا الفاعلين المشاركين.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

رابعا: استنتاج الفرضية :

تظهر تعبيرية الدين في الصور والرموز المتجذرة في عمق المتخيل الجمعي، لتظهر بألواناً متعددة داخل الفعل الطقوسي. فالحديث عن تنظيم الاحتفالات، ونختلف أشكال الممارسات التي تعرفها المؤسسات الدينية المرابطة كالزوايا والأضرحة، يجعلنا نولي اهتماما بهذه السلوكات أو الطقوس، أي الإشارة إلى مختلف الوظائف التي تقوم بها، ثم التحدث عن الفاعلين الذين يستثمرون في الرمزيات لتجسيد أو إعطاء معنا أو معاني لتلك الأفعال، مع الإحاطة بأدوارهم المختلفة لضمان تلك السيرورة أو الديمومة.

فالفاعلون ينحصرون في الزوار، ولكن أيضا في الذين يضمنون الخدمة لهؤلاء الزوار، وفي معظم الأحيان من أقارب الولي الصالح المدفون في الضريح، وبدرجة أقل المتطوعون، ثم هناك الولي كفاعل رمزي رئيسي يضمن لهؤلاء الزوار الخدمة الروحية والدنيوية. فلم يقتصر دور الزاوية المرابطية على وظائف وخدمات التعليم والتكوين التي تقدمها للطلبة أو طالبي العلم والمعرفة الدينية، فيما يسمى بالوظيفة الرسمية، أين تحي المؤسسات مختلف الاحتفالات بالأعياد الدينية، وهي المناسبات التي يمتزج فيها التدين الرسمي وغير الرسمي، ففي مناسبة المولد النبوي أو ليلة القدر، تقام مسابقات لحفظ القرآن الكريم، تجويده وترتيله، أين يتم توزيع الشهادات على الناجحين، كما تتخلل هذه المناسبات ممارسات وسلوكات أخرى كترديد الأذكار والأشعار الدينية.

يكون الضريح أو الزاوية فضاء خصب للتبادلات الرمزية وإنتاج مختلف رؤوس الأموال، خاصة الرمزي منه، ويكونا مسرحا لاستعراض مختلف انشغالات الفاعلين التي تنحصر في بلوغ الكمال الروحي والدنيوي، هذا المكسب الذي لا يضمنه لهم سوى الولي الصالح، وعلى شكل رأسمال رمزي. وقد لا تتوقف انشغالات الزوار في مطالبة الولي بهذا الرأسمال، خاصة أنهم يختلفون في خصوصيات عديدة، كالطبقة الاجتماعية والانشغال المطروح، فهناك زوار من عدة تشكيلات: قبائل ومرابطون. فإذا كانت اهتمامات أفراد التشكيلة الأولى منحصرة في طلب الشفاعة ولأغراض مادية بحتة، فإن أفراد الجماعة الثانية سيكون لهم رأي أخر، ألا وهو الحفاظ على تماسك الجماعة التي يمثلونها وضمان استمرارها، بالحفاظ على قيمها، أي ما نسميه إعادة إنتاجها.

أمام كل هذه الاهتمامات يبدو لنا أن لطقوس الجماعة أهمية قصوى في المحافظة على توازن الحياة بكل مكوناتها، وفي إدماج الأفراد ضمن الجماعات باعتبارها قواعد السلوك التي تحدد كيفية تعامل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإنسان مع الأشياء المقدسة، وكذلك مع أمثاله. كما أن للممارسات الطقوسية دور في تقوية الروابط التي تصل المؤمن بالخالق، وفي نفس الوقت تقوي الروابط بين الفرد والمجتمع، والمسألة هنا ليست ممارسة ضغط فيزيقي على القوى العمياء الخالية، لكن الوصول إلى العقول لإنعاشها وتقنينها.

زيادة على المظاهر الخارجية للطقوس، والتي يمكن ملاحظتها مثل عملية التكرار والحفاظ على القواعد نفسها مهم جدا إيجاد وظائفها والإلمام بمعانيها، وذلك بالرجوع دائما إلى المناخ الذي يؤدي فيه الطقس والطريقة التي يعيش بها الفاعلون الحدث، وبمعنى آخر الرجوع إلى مجموعة من المواقف والأحاسيس والتمثلات التي يعبر عنها الطقس ويعمل على تنظيمها.

قد لا تتوقف وظائف الطقوس هنا، فهناك أيضا وظيفة التحكم في كل ما يتسم بعدم الثبات، والمحاولة الدائمة للحيازة على الثقة اللازمة ضد القلق الوجودي الذي لا تخلو منه حياة الإنسان وكذلك تمكن الطقوس الإنسان من ضبط العاطفة القوية، لأن تعارضه لمختلف التجارب في الحياة وكذا وظيفة التوسط مع الإلهي أو مع قوى خفية أخرى، يعود الإنسان دائما إلى العمليات الرمزية حينما يجد نفسه، أمام شيء يفوق تصوره، أو جمل ذات دلالات خاصة لا يفهمها ولا يؤمن بها إلا المعنيون بالأمر، هكذا تكون الصلوات والابتهالات والرقصات وعمليات الجذب.

إن كل مجتمع، وكل مجموعة إنسانية تعمل من أجل الحفاظ على وحدتها، وبالتالي وجودها. فالإحساس بالانتماء إلى الجماعة يمد الإنسان بالقوة والشعور بالأمان والاطمئنان بالقرب من أناس آخرين، يتقاسم معهم أحاسيس الانتماء الذي يسميه بعض المختصين بالهوية الجماعية أو الكينونة الاجتماعية. فالممارسة الطقسية ضرورية للحفاظ على المعتقدات التي تؤسس لوجود الجماعة التي تحافظ على تلاحمها. فكل تلك التجمعات والاحتفالات وتبادل الهدايا والتحيات تخلق جوا يجعل من الممكن والممتع للعيش معا، كما تعيد تكريس الرباط الاجتماعي في كل مرة بحكم أن الطقس يتكرر باستمرار.

كما تعيد الطقوس إحياء القيم والمبادئ التي تعتبر الكابح الأخلاقي في أعين أعضاء الجماعة عن طريق كل الأدوار، حيث تظهر الطقوسية على طرفي الطبيعة والثقافة. وتقف بين الحسي والروحي، فهي تحقق الضبط الاجتماعي والأخلاقي، ولكن كذلك في إشباع الرغبات. فالكل يعترف بإنسانية وعالمية وكلية الطقس كتعبير ديني ثقافي واجتماعي. فعلى العموم، لقد لعبت المؤسسات الدينية الممثلة أساسا بالزوايا «ثيمعمرين»، وحتى المساجد والجوامع وأضرحة الأولياء الصالحين دورا كبيرا في إنتاج وإعادة إنتاج

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الممارسات والطقوس الدينية، حيث أنها اعتبرت فضاءات خصبة تلقى فيها كل أنواع وأشكال السلوكات الدينية في المنطقة، كما ساهمت في إرساء القيم والثقافة الدينية، خاصة الشفوية منها في نفوس الأفراد والجماعات، وهو ما حصَّن من مكانتها بمختلف أشكالها في الحقل الديني القبائلي.

لابد أن نشير إلى تجليات الممارسة الدينية في هذه الفضاءات، حيث أخذت أنماطاً مختلفة تم التعبير عنها كأنماط دينية بالخيال الشعري الذي كثيرا ما يحطم حدود الواقع بمسلماته المنطقية، ويحلق في أفاق المجهول بتداعياته الماورائية الخارقة مثلما يظهر ذلك من خلال طبيعة الأحداث في القصص الديني، أو في الوصف التبجيلي للشيوخ والأولياء والمرابطين في المديح الديني. فكل هذه المعطيات ساهمت بطريقة أو أخرى في ديمومة واستمرار وتحصين مكانة هؤلاء المبجلون في المخيال الاجتماعي المحلي والحقل الديني للمنطقة.

خاتمة:

التدين سلوك طبيعي وإنساني، يشكل جانبا مهما من الروابط الاجتماعية بين البشر ، ويعد في مجمله وبكل أنماطه المتباينة ظاهرة تاريخية اجتماعية تعبر في جوهرها عن التجلي العملي والنسبي لعلاقة الإنسان الوجدانية والروحية بالله وبعالم الغيب، وتشكل هذه العلاقات مكونا مهما من مكونات الوعي الاجتماعي والكوني للإنسان. والتدين بهذا المعنى وعي وممارسة فردية واجتماعية ومؤسسة، وهو صيغة اجتماعية بالأساس، لأنه انبثاق عن واقع اجتماعي موضوعي، وهو محدد بأبعاد هذا الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي في سياقاتها التاريخية (شلبي ع، 2006، ص29). فهو بهذا المعنى أيضا، يرتبط ارتباطا وثيقا بهذا الواقع، ويقوم فيه بتأدية أدوار ووظائف محددة ومتباينة تلبي حاجات متباينة أيضا داخل الواقع الاجتماعي.

يهدف التدين الشعبي إلى تسجيل الهروب من مواجهة الواقع الاجتماعي شديد القسوة والعداء للأفراد، واقع يحمل كل أنواع الحرمان والتفاوت والظلم الاجتماعي، والاستبداد والقهر السياسي(شلبي ع، 2006، ص36) ، حيث يعد هذا التدين محصلة لتكيف تاريخي بنائي متبادل، بين الرسالة الدينية بما تحتويه من عقائد وعبادات ومعاملات وطقوس من جهة، والهياكل والأبنية الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية من جهة أخرى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لقد كانت محصلة هذا التكيف جملة من الظواهر الاجتماعية البشرية المتغيرة من مكان لآخر، ومن زمان لآخر، وهي في مجموعها ليست من الدين الإلهي بشيء سواه، كانت موافقة لثوابت هذا الدين أو مخالفة له، ويكون في هذا النمط من التدين بصدد أخذ الدين كما يعاش وكما يمارسه الناس في حياتهم اليومية كما يتعارفون عليه خلال هذه الممارسات من رؤى وتصورات وأعراف وتقاليد ألحقها بالدين وهي ليست منه. إنه تدين يصدر عن الظروف الحياتية التي يوجد فيه الأفراد والمجتمع.

تؤسس هذه الدراسة لفهم جديد يحاول الكشف عن العلاقة بين التصورات الدينية والتغيرات الاجتماعية والثقافية في المجتمعات التقليدية التي مستها صدمة الحداثة منذ منتصف القرن التاسع عشر ميلادي قصد الكشف عن سيرورة التحديث التي مرت بها هذه المجتمعات وآفاق التحول من خلال إبراز مسار تطور علاقة هذه المجتمعات بالظواهر التي تدخل في إطار المقدس.

لقد كان الهدف هو استجلاء الغموض والحساسيات حول أنماط التدين الشعبي وتأطيره ضمن الحقل الاجتماعي الذي تمارس فيه الظاهرة، أي النظر إلى التدين كفعل ممتد في التاريخ، وممارسة يقوم بها فاعلون اجتماعيون محملون بخبرات متباينة، والآليات التي تحكم سيرورة هذا النمط في إطار علاقاته بالبنى السوسيو ـ ثقافية للمجتمع، وذلك من خلال الاستثمار في أدوات الدراسة وطرقها، لعلمين متقاربين، علم الاجتماع من جهة والأنثروبولوجيا من جهة أخرى من خلال الطرح السوسيو ــ أنثروبولوجي للوقوف على مكانة المؤسسات الدينية المتمثلة أساسا في الزوايا في المخيال الديني والاجتماعي لمنطقة القبائل .

لقد اكتسب المرابطون شرعية اجتماعية بفضل نسبهم الشريف ودورهم الديني من جهة، وحاجة القبائل إلى المقدس من جهة أخرى، ونجحوا في التوفيق بين الدين الإسلامي وبين الممارسات والمعتقدات السابقة للإسلام، والتي كانت سائدة في منطقة القبائل إلى حد جعل التمييز بين الممارسات الدينية والعادات القديمة صعبا، ويظهر هذا جليا في بعض الاحتفالات والطقوس والشعائر المناسباتية وغير المناسباتية التي تعرفها بعض الزوايا المرابطية التي قمنا بزيارتها، مع كل ما يتخللهما من ممارسات وسلوكات جعلت من فضاء الزاوية المكان الملائم لإنتاج بعض الأفعال الرمزية والصيغ التقديسية تعتبر كلها رؤوس أموال رمزية أنتجت وأعيد إنتاجها لتدعيم الرابط الديني بين الولي الصالح عبر الزاوية أو الضريح وكافة السكان المحيطين به.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تجدر الإشارة إلى أمر مهم في هذه الممارسات الدينية، إنها تقوم وفق الثقافة المحلية وبلغته، لكنها تستعمل الكثير من الرمزية والصيغ التقديسية من خلال استعمال المديح والأغاني وخاصة الشعر الصوفي، أو ما يسمى قصائد المديح والذكر مثل الطريقة التي تم استقبال ضيوف «التبيتة» كأحد الممارسات الدينية المهمة في الحقل الديني بالمنطقة.

توضيح:

- « كلمة الخوني مفرد للإخوان والتي تعني أتباع الطريقة الرحمانية التي ذكرناها كأنموذج أو مثال للطرائق الصوفية المعروفة والمشهورة في الحقل الديني لمنطقة القبائل » .
- « تعني أقراو باللغة المحلية: الجماعة ، أي اجتماع الشيوخ وكبار السن أو عقلاء القرية وعلماء الدين في مكان معين يتم فيه استلام الوعدات والهبات وتبرعات الضيوف أو الزوار، حيث يقوم أقراو بقراءة الفاتحة والدعاءالصالح للذين يتقدمون إليهم، وهو ما يمنحهم دعما معنويا يجابهون به متطلبات الحياة » .

قائمة المراجع:

أ – مراجع باللغة العربية:

1. البيومي محمد أحمد، (1979). **علم الاجتماع الديني** ، الإسكندرية: منشأة المعارف.
2. أركون محمد، (2000). **قضايا نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم**. ترجمة: هاشم صالح، ط1، بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر.
3. بوعزيز يحي. "**أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19و20**"، **مجلة الثقافة**.العدد 63. السنة11 جوان1981. ص ص97-122.
4. الزاهي نور الدين ،(2011)، **المقدس والمجتمع**. الدار البيضاء .المغرب: إفريقيا الشرق.
5. فراد محمد أرزقي .(2003)، **أزفون تاريخ وثقافة**، ط01 . الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،
6. طوالبي نور الدين . (1988). **الدين والطقوس والتغيرات**، ط1. ترجمة: وجيه العيني. بيروت : منشورات عويدات.
7. بدوي زكي أحمد . (1978). **معجم المصطلحات الاجتماعية (انجليزي، فرنسي، عربي)**، بيروت: مكتبة لبنان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص644-672

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ب- مراجع باللغة الاجنبية:

1. DAUMAS Eugene (2010). **la Kabylie traditions ancestrales**. Paris : Éditions lumières libres.
2. HADIBI Mohand Akli. (2002). **Wedris une totale plénitude approche socio anthropologique d'un lieu saint en Kabylie,** Préface du professeur: Mustapha Heddab. Alger : Edition Ziryab.
3. COPPOLANI Xavier & DEPOND octave. (1897) **Les confréries religieuses musulmanes**. typographie et lithographie Adolphe Jourdan .Alger imprimeur – libraire - éditeur 4. place du gouvernement,.
4. LA COSTE Dujardin. (2005). **Dictionnaire de la culture berbère en Kabylie**. Paris : la découverte.
5. SALHI Mohamed Brahim**.** (1979). **« Etude d'une Confrérie Religieuse la Rahmanya au fin 19 Siècle et début 20 Siècle ».** la thèse de 3eme cycle, école de hautes en sciences sociales de Paris.
6. Émile DERMENGHEM(1954). **Le Culte de L'islam Maghrébin**, Paris : édition Gallimard.
7. HANOTEAU Adolphe & LETOURNOUX Arstide. (2003). **La kabylie et les coutumes kabyles.** V 01. 2eme Edition. Paris : édition Bouchene.
8. Gilles LAPORTE . (2003). **initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines**. IPMSH. Cégep du vieux Montréal.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com